

تفسير البغوي

29 - قوله D : { وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن } الآية قال المفسرون : لما مات أبو طالب خرج رسول الله ﷺ وحده إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف إلى نفر من ثقيف وهو يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهو إخوة ثلاثة : عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو [عمرو بن] عمير وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح فجلس إليهم فدعاهم إلى الله ﷻ وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه .

فقال له أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله ﷻ أرسلك وقال الآخر : ما وجد الله ﷻ أحدا يرسله غيرك ؟ وقال الثالث : والله ﷻ ما أكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا من الله ﷻ كما تقول لأنك أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ﷻ فما ينبغي لي أن أكلمك . فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يؤس من خير ثقيف وقال لهم : إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي [سري] وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه فيزيده عليه ذلك فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه فعمد إلى ظل حبله من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف ولقد لقي رسول الله ﷺ تلك المرأة التي من بني جمح فقال لها : ماذا لقينا من أحمائك ؟ .

فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال : اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي أعود بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك .

فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي تحركت رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له : عداس فقالا له : خذ قطفا من العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال : بسم الله ﷻ ثم أكل فنظر عداس إلى وجهه ثم قال : والله ﷻ إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له رسول الله ﷺ : من أي البلاد أنت يا عداس ؟ وما دينك ؟ قال : أنا نصراني وأنا رجل من أهل نينوى فقال له رسول الله ﷺ : أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ قال له : وما

يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال له رسول الله ﷺ : ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي فأكتب عداس على رسول الله ﷺ فقبل رأسه ويديه وقدميه .

قال : فيقول ابنا ربعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهم عداس قالوا له : ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي فقالا : ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فإن دينك خير من دينه .

ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعا إلى مكة حين يؤس من خير ثقيف حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن أهل نصيبين اليمن فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا لما سمعوا فقصا خبرهم عليه فقال : (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) .

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : [انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا : يا قومنا { إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد فأما به ولن نشرك بربنا أحدا } (الجن - 2) فأنزل الله ﷻ على نبيه : { قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن } (الجن - 1) وإنما أوحى إليه قول الجن [.

وروي : أنهم لما رجموا بالشهب بعث إبليس سراياه لتعرف الخبر وكان أول بعث بعث ركبا من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم فبعثهم إلى تهامة .

وقال أبو حمزة [الثمالي] : بلغنا أنهم من الشيصان وهم أكثر الجن عددا وهم عامة جنود إبليس فلما رجعوا قالوا : (إنا سمعنا قرآنا عجبا) .

وقال جماعة : بل أمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله تعالى ويقرأ عليهم القرآن فصرف إليه نفرا من الجن من نينوى وجمعهم له فقال رسول الله ﷺ : إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فأياكم يتبعني ؟ فأطرقوا ثم استتبهم فأطرقوا ثم استتبهم الثالثة فأطرقوا فاتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود : ولم يحضر معه أحد غيري فانطلقنا حتى إذا كنا على

مكة دخل نبي A ﷺ يقال له : شعب الحجون وخط لي خطا ثم أمرني أن أجلس فيه وقال : لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسر تهوي وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي A ﷺ وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول A ﷺ مع الفجر فانطلق إلي وقال : أنمت ؟ فقلت : لا وإني يارسول الله وقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول : اجلسوا قال : لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم ثم قال : هل رأيت شيئا ؟ قلت : نعم يارسول الله رأيت رجلا سودا مستثفري ثياب بيض قال أولئك جن نصيبين سألوني المتاع - والمتاع الزاد - فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبكرة .

قال : فقالوا : يارسول الله تقذرنا الناس فنهى النبي A ﷺ أن يستنجي بالعظم والروث . قال : فقلت : يارسول الله وما يغني ذلك عنهم ؟ قال : إنهم لا يجدون عظما إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثه إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت قال فقلت : يارسول الله سمعت لغطا شديدا ؟ فقال : إن الجن تدارأت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا إلي فقضيت بينهم بالحق قال : ثم تبرز رسول A ﷺ ثم أتاني فقال : هل معك ماء ؟ قلت : يا رسول الله معي إداوة فيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه فصبت على يده فتوضأ وقال : ثمرة طيبة وماء طهور . قال قتادة : ذكر لنا أن ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط فأفرعوه حين رأيهم فقال : اظهروا فقليل له : إن هؤلاء قوم من الزط فقال : ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا إلى رسول A ﷺ يريد الجن .

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أخبرنا عبد الغفار بن محمد حدثنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود وهو ابن أبي هند عن عامر قال : [سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ليلة الجن ؟ قال فقال علقمة : أنا سألت ابن مسعود فقلت : هل شهد أحد منكم مع رسول الله ليلة الجن ؟ قال : لا ولكننا كنا مع رسول الله ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا : استطير أو اغتيل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال فقلنا : يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال : أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن .

قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم .

قال : وسألوه الزاد فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بكرة علف لدوابكم فقال رسول الله A ﷺ : فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم من الجن] .

ورواه مسلم عن علي بن حجر حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن داود بهذا الإسناد إلى قوله : (

وآثار نيرانهم) .

قال الشعبي : وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة إلى آخر الحديث من قول الشعبي مفصلا من حديث عبد الله .

قوله D : { وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن } اختلفوا في عدد ذلك النفر فقال كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله ﷺ A رسلا إلى قومهم وقال آخرون : كانوا تسعة وروى عاصم عن زر بن حبیش : كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن { فلما حضروه قالوا أنصتوا } قالوا : صه .

وروي في الحديث : (أن الجن ثلاثة أصناف : صنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف حيلون ويطعنون) .

فلما حضروه قال بعضهم لبعض : أنصتوا واسكتوا لنستمع إلى قراءته فلا يحول بيننا وبين الاستماع شيء فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم .

{ فلما قضى } فرغ من تلاوته { ولوا إلى قومهم } انصرفوا إليهم { منذرين } مخوفين

داعين بأمر رسول الله ﷺ A